أسرار
التقديم والتأخير في المتضاد اللفظي
في القرآن الكريم

دكتور

صالح بن عبد الله الشثري

أستاذ اللغة العربية المساعد

كلية الملك خالد بالرياض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدخل

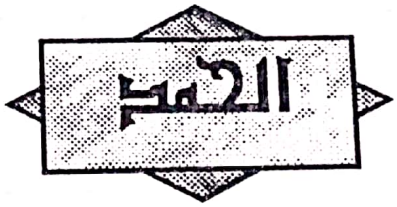

لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد.

فإن من النعم العظيمة علينا نعمة القرآن الكريم، كلام الله تعالى المعجز للخلق أجمعين في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجبَ عن الغيوب الماضية والمستقبلة، أنزله سبحانه على محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه النبي العربي الأمي، فتحدى به العرب قاطبة بإعجازه، بل حكى عن ربه سبحانه القطع بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم عياناً بياناً على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

وإذا نظرت بعين المتأمل والمتدبر لآيات الكتاب المعجز، وداومت النظر والتأمّل وجدت أن القرآن الكريم صالح لأنواع كثيرة من الإعجاز، ففيه الإعجاز العلمي الكوني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز القصصي، لكن الإعجاز الذي وقع به التحدي في عصر الرسالة لم يكن إعجازاً علمياً وتشريعياً، أو إعجازاً تاريخياً أو غيبياً، مع أنه بهر العقول في هذا الباب، لقد كان الإعجاز محصوراً في جهة واحدة هي الإعجاز البياني البلاغي المتمثل في أسلوب القرآن ونظمه وتركيبه اللغوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن العرب الذين تحداهم الله تعالى بأن يأتوا بمثل كتابه العزيز، كانوا مضرب المثل في الفصاحة والبلاغة وإحكام البيان وسبكه، ولأجل ذلك تحداهم الله تعالى من جهة ما تميزوا به، وضلعوا فيه، وهذا بحق أظهر للعجز، وإعلان لقيام الحجة عليهم حيث زعموا أن القرآن كلام بشر.

ولأجل ذلك كله نهل العلماء من معينه، وتأملوا أسراره، منذ مطلع نزوله، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتدارسونه بينهم، ليطلعوا على كنوزه، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لم نكن نتعلم القرآن كتعلمكم ذلك، إنما كنا نتعلم عشر آيات بعشر آيات فإذا حفظناها وعملنا بها تعلمنا عشراً أخر"(1)، وهكذا سار العلماء، فصنفوا المصنفات وكتبت الرسائل في إعجاز القرآن الكريم، على مر العصور، وشملت موضوعات شتى، في الحروف والكلمات والتراكيب، وفي المعاني والمباني، وكان علماء البلاغة يستلهمون إبداعهم من آيات الكتاب العزيز، ومن تلك الموضوعات التي تناولوها، موضوع التقديم والتأخير في كتاب الله تعالى.

ويعد موضوع التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني تظهر فيه بلاغة الأساليب، وروعة العبارة، وتعرف به القدرات والمواهب، كما يدل على تمكن البليغ في الفصاحة وحسن تصريف الكلام. يقول الزركشي: (هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في

(1)رواه البيهقي في شعب الإيمان: ١/١١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق)[1].

وقد أولاه علماء البلاغة عناية فائقة بوصفه أحد أصول علم المعاني الذي به تعرف أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال، وجهد الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١) في ذلك معلوم مشاهد، فهو رحمه الله يعد أول من تناول هذا الموضوع بشكل موسّع، فأفاض رحمه الله الحديث عنه، ووضع مجموعة من القواعد والأسس تبين أسرار التقديم والتأخير[2]، يقول متحدثاً عن أهميتـــه: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف،بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعُه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)[3].

وإذا كان علماء البلاغة قد اعتنوا بهذا الموضوع عناية لاتخفى، فإن علماء المتشابه اللفظي لهم مشاركة جيدة في هذا المجال، فقد كانت عنايتهم بالتقديم والتأخير في المتشابهات اللفظية في كتاب الله تعالى، وغني عن القول أن الآيات المتشابهة من حيث التقديم والتأخير لها وقع عند القراء، والمهتمين بحفظ كتاب الله تعالى فيكثر فيها السؤال لماذا

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.

(٢) انظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، للدكتور: محمود شيخون: ١٢٥.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقدمت هذه اللفظة في هذه الآية، ولم تتقدم في الآية الأخرى المشابهة لها، وكذا تقديم بعض المعطوفات على بعض وهكذا..؟

وفي هذا الصدد سيكون لبحثنا وقفات مع مؤلفاتهم حول المواضع التي ستكون ميدان بحثنا ودراستنا، وأخص بذلك، كلاً من درة التنـــزيل للخطيب الإسكافي، والبرهان للإمام الكرماني، وملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، وكشف المعاني لابن جماعة، وفتح الرحمن لأبي يحيى الأنصاري، فهذه المؤلفات تعد أبرز ما دونه المتشابه اللفظي، فقد أبانوا أسرار مواضع التقديم والتأخير في المتضاد في كتاب الله تعالى.

كما أننا في هذا البحث لن نغفل جهود المفسرين، الذين تناولوا مواضع التقديم والتأخير في الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم، وأخص بذلك: الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والبحر المحيط، وروح المعاني، التحرير والتنوير، وغيرها من كتب التفسير

وموضوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم باب واسع، ولا يمكن لدراسة موجزة كهذه أن توفيها حقها، ومن هنا جاء تخصيص الدراسة في التقديم والتأخير في المتضادات اللفظية في الآيات القرآنية، وهي الآيات التي تكررت فيها الألفاظ المتضادة في كتاب الله تعالى في مواضع متعددة، كالضر والنفع، والإنس والجن، وغيرها من المواضع، وإلا فإن الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم كثيرة جداً، وحصرها فقط يحتاج لجهد، وبحث مستقل، وانظر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْأَمْوَاتُ﴾(1)، ومثل ذلك كثير، لكن هذا البحث يسلط الضوء على الألفاظ المتضادة المتكررة في القرآن الكريم التي بينها تقديم وتأخير، وكثير منها يدخل في باب الآيات المتشابهة.

وإذا كان القراء، والمهتمون بحفظ كتاب الله تعالى يكثر تساؤلهم عن تقديم بعض الألفاظ في بعض الآيات، وتأخرها في آيات أخرى مشابهة لها، فإن السؤال عن أسرار التقديم والتأخير في الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم هو الغالب في تلك الأسئلة، ولأجل ذلك كانت العناية بالألفاظ المتضادة التي بينها تقديم وتأخير في مواضع متعددة في كتاب الله تعالى، وذلك بإبراز جوانب الإعجاز القرآني، والسر البياني للتقديم والتأخير.

وعلى ضوء تلك اللمحات عن أهمية هذا الموضوع، وعن المنهج الذي سأسير عليه في كتابة هذا البحث الموجز، فإني سأتناول بإذن الله تعالى المباحث التالية:

المبحث الأول: منهج العلماء في التقديم والتأخير.

المبحث الثاني: ماهية المتضاد اللفظي.

المبحث الثالث: مسائل التقديم والتأخير في المتضاد في القرآن الكريم..

سائلاً المولى سبحانه العون والتوفيق.

---

(1) سورة فاطر، آية: ١٩-٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

مناهج العلماء في التقديم والتأخير

إذا علمنا اهتمام العلماء من مفسرين وبلاغيين بهذا الموضوع، باعتباره أحد أصول علم المعاني الذي به تعرف أحوال اللفظ العربي الذي به تعرف أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال(١)، أو كما يقول السكاكي: تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره(٢).

وإذا تأملنا هذه العناية من علمائنا المتقدمين، رأينا بجلاء أهمية هذا الموضوع في بيان وعظم أسرار الإعجاز لكتاب الله تعالى، وإظهار دقائقه المعجزة.

وبعد دراسة ما دونه العلماء المتقدمون في مصنفاتهم المختلفة يتضح أن لهم مناهج متعددة في دراسة التقديم والتأخير، فالبلاغيون لهم منهج، والمفسرون لهم منهج، كما أن لابن الأثير منهجاً، ولعلي أشير إلى هذه المناهج بشيء من الاختصار(٣).

---

(1) انظر: المطول للتفتازاني: ٣٤.

(2) انظر: مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي: ١٩٤.

(3) عرض الدكتور/عبد العظيم المطعني في كتابه القيم "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية" مناهج التقديم والتأخير، وذلك حين تناول موضوع "من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً: منهج البلاغيين:

يعد عبد القاهر الجرجاني كما ذكرت آنفاً صاحب السبق في فتق هذا الموضوع وبيان أسراره، وعليه فإن منهج البلاغيين يبدأ من عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١)، ويستمر ذلك حتى الخطيب القزويني (ت ٧٣٩).

وقد كانت عنايتهم حول أغراض التقديم ، وأنواعه وموضوعاته.

وأغراض التقديم هي الدواعي والأسباب التي ترجح تقديم المقدّم على تأخيره، وهي لا تخرج عندهم عن أحد أمرين: أغراض عامة كالاهتمام بالمقدّم، وأغراض خاصة كإرادة التخصيص.

أما أنواع، فقد ذكر علماء البلاغة نوعين:

الأول: تقديم على نية التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل، أو الفعل.

الثاني: تقديم لا على نية التأخير، كتقديم المبتدأ على الخبر، وتقديم الفعل على الفاعل([1]).

وهذا التقسيم عارضه الزمخشري، وقد نقله صاحب المطول، فقال: "إنما يقال مقدّم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه"، ورد التفتازاني على هذا الاعتراض بأن المراد بتقديمه الإتيان به مقدّماً([2]).

أسرار التقديم في القرآن الكريم"، وجاء بحثه في أكثر من مئة وعشرين صفحة ٧٩/٢- ٢٠١.

(1) انظر: دلائل الإعجاز: ١٣٧، والإيضاح: ١١٣/٢، والمطول: ١٠٦.

(2) انظر: المطول لسعد الدين التفتازاني: ١٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما موضوعات التقديم: فلا تخرج عند علماء البلاغة عن ثلاثة أحوال:

أولاً: تقديم المسند إليه:

وهو خصوص المبتدأ، أما نظيره وهو "الفاعل" فليس له نصيب، لأنه لو لو قدّم على فعله لأصبح مبتدأ وزال عنه معنى الفاعلية، وتحولت إلى ضميره، ويصبح التركيب أصيلاً لا تقديم ولا تأخير فيه.

ثانياً: تقديم المسند:

وهو خصوص الخبر غير الفعلي، لأن الخبر الفعلي لو قدّم لصار المبتدأ فاعلاً، ولحصلنا على نمط من التركيب مغاير تماماً لما حوّل عنه، فلو قلت: الصدق ينفع، فلو قدمت الخبر، وهو فعلي، لأصبح التركيب: ينفع الصدق، وعليه لم يبن أن في الكلام تقديماً.

ثالثاً: تقديم المتعلقات على عواملها:

ويعبر عنه أيضاً، بتقديم بعض العوامل على بعض، كالمفعول به على الفعل، وكالظرف والجار والمجرور، وكالحال والتمييز، وكتقديم التوابع بعضها على بعض.

وقد اعتنى علماء البلاغة بهذه الموضوعات وأولها اهتمامهم، فكشفوا الأسرار، على اختلاف وتباين في وجهات نظرهم(١).

(1) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٨١/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد اعتنى علماء البلاغة بهذه الموضوعات الثلاثة، فأصبح لهم منهجاً يسيرون عليه، وإن اختلفوا في بعض الأسرار فأصبح لعبد القاهر منهجاً، وللسكاكي مذهباً، لكن العناية واحدة والاهتمام بهذه الموضوعات يخرج من مشكاة واحدة.

فذكروا الأغراض المختلفة التي يقدم فيها المسند إليه والتي تقارب ثلاثة عشر سراً بلاغياً، كما أبانوا الأسباب والأسرار التي يقدّم فيها المسند على المسند إليه، وأبرز ذلك: التخصيص، والتنبيه، والتفاؤل، والتشويق، وغير ذلك من الأسرار.

أما تقديم بعض المعمولات على بعض، فذكروا أن أبرز الأسباب والأسرار، إما أن يكون التقديم فيما قدّم هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمفعول الأول على الثاني، أو لأن ذكره أهم، أو لأن في التأخير إخلالاً بالمعنى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾(1)، فلو أخر ﴿من آل فرعون﴾ عن ﴿يكتم إيمانه﴾ لوقع في الوهم أنه صلة، فلم يفهم أن ذلك الرجل من آل فرعون، وهو المطلوب، فجاءت الآية بثلاثة أوصاف للرجل، فقدّم الإيمان، لأنه أشرفها، وأخّر ﴿يكتم إيمانه﴾، لأن في تقدمه على الثاني خللاً بالمعنى.

(1) سورة غافر، آية: ٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ذكروا أن من أسرار التقديم لبعض المعمولات أن يكون في التأخير إخلالاً بالتناسب، وقد فسروا هذا التناسب برعاية الفواصل والسجع، وهذا اعتبار لفظي، لا يركن إليه، لا سيما مع آيات القرآن الكريم، والحديث في هذا يطول، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله(١).

هذا وقد عقد المطعني مقارنة بين منهج البلاغيين في التقديم، وبين نظرية ابن الصائغ(٢)، وأوضح أن منهج البلاغيين يشمل كل أنواع الكلام سواء أكان قرآناً، أو حديثاً، أو شعراً، أو نثراً، فهي تنظر في جميع الأساليب بلا خلاف، أما نظرية ابن الصائغ فخاصة بآي التنزيل الحكيم فقط، وبين المحاسن والمآخذ على منهج البلاغين، وكذلك نظرية ابن الصائغ التي أهملت أسباباً كثيرة من التقديم، وعدم التزام الدقة في وضع القواعد، كما أهمل التقديم المفيد للاختصاص، وأخيراً فإن نظريته تعتمد قواعد عامة تفتح باباً للخلاف معه عند التطبيق(٣).

---

(1) انظر: انظر: دلائل الإعجاز: ١٣٧، مفتاح العلوم: ١٩٤-٢١٩، ٢٠٤-٢٢٣، ٢٣١، والمطول: ١٠٦، والإيضاح: ٢/٥٠-٨٠، ١٣٥-١٧٢، وخصائص التراكيب لأبي موسى: ١٧٠-٢٤٧، ١٨٦-٢٩١، ٢٥١-٢٩٨، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/٨٢-١٠٢، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٧-٢٤٣.

(2) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي شمس الدين الحنفي، عالم مصري، توفي سنة: ٨٧٦هـ، انظر: الدرر الكامنة: ٣/٤٩٩، وقد أشار لمنهجه السيوطي في معترك الأقران: ١/١٧١-١٨٠.

(3) انظر: خصائص التعبير القرآني: ٢/١٢٢-١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: منهج ابن الأثير:

تحدث ابن الأثير في كتابه الشهير"المثل السائر" عن موضوع التقديم وقسمه قسمين[1]:

القسم الأول: وسمّاه: ما يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخّر المقدم، أو قدّم المؤخر لتغير المعنى. وهذا القسم على نوعين:

١-ما يكون التقديم فيه الأبلغ: كتقديم المفعول به على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل، وقد مثّل لذلك بأمثلة مصنوعة، وبآيات من القرآن الكريم، وقام بتحليلها، وهو يفيد الاختصاص مره، ومراعاة نظم الكلام مرة أخرى، ومراعاة نظم الكلام أبلغ عنده من الاختصاص، وهذا مخالف لعلماء البلاغة، وكذلك للزمخشري الذين يجعلون التقديم في هذا النوع وبكل صوره يفيد الاختصاص.

٢-ما يكون التأخير فيه هو الأبلغ: وهو أن يُقدّم ما الأولى به التاخير، ولأن المعنى يختل ويضطرب، ويسميه "المعاظلة المعنوية"، كتقديم الصفة على الموصوف، وتقديم الصلة على الموصول، وهذا النوع ليس له أمثلة من القرآن الكريم، لأنه

(1) المثل السائر: ٢/٢٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضرب نازل من الكلام، لأجل ذلك مثل له ابن الأثير بأمثلة خارجة ومعيبة، ويطلق عليه علماء البلاغة " التعقيد "(١).

القسم الثاني: وسماه: ما يختص بدرجة التقديم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك.

أوضح ابن الأثير أن هذا القسم لا يحصره حد، ولا ينتهي إليه شرح، ويشير ابن الأثير أن ما ذكره من أمثلة إنما هي نبذة مختصرة ليقاس عليها(٢).

ومن أبرز الأسباب التي ذكرها في هذا القسم، تقديم السبب على المسبب، وتقديم الأكثر على الأقل، وتقديم الأفضل على المفضول، وتقديم الأعجب فالأعجب، وتقديم المناسب(٣) كتقديم الإناث على الذكور، مع أن الذكور أفضل ليناسب ما يرونه بلاء البلاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ﴾(٤).

وبوقفة سريعة مع منهج ابن الأثير يتضح لنا أنه يجمع بين طريقة ابن الصائغ ومنهج البلاغيين، ففي توجيه التقديم في بعض الآيات ينهج

(1) المصدر السابق: ٢/٢٢٦.
(2) المصدر السابق: ٢/٢٣٠
(3) المصدر السابق: ٢/٢٣٢-٢٣٤.
(4) سورة الشورى، آية: ٤٧-٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طريقة ابن الصائغ، وحين يتحدث عن أسباب تقديم المفعول والظرف والحال والاستثناء، أو تقديم الخبر، ينتهج منهج البلاغيين مع شغفه بكثرة التقسيمات والتفريعات.

كما انه يميل لمخالفة ما عليه الإجماع، فيرد أنواعاً كثيرة من التقديم لحسن النظم، نافياً عنه إفادة الاختصاص، مع أنه مفيد للاختصاص على إجماع علماء البلاغة.

كما أنه يهتم بالنص القرآني، ويجعل منه القبس لوجه الجمال الفني والحسن اللفظي، وهذا أمر طيب، كما يضاف إليه أنه جمع بين العلم العقلي، والذوق الرفيع، فهو ناقد بصير، وصاحب منهج دقيق في فهم أسرار كتاب الله تعالى(١).

ثالثاً: منهج المفسرين:

لقد اعتنى كثير من المفسرين ببيان المظاهر الجمالية للنص القرآني، والكشف عن وجوه الإعجاز، وإظهار الأسرار البيانية في مواطن كثيرة من الآيات الكريمة، ففي مواضع كثيرة من التقديم والتأخير كانت لهم صولات في غاية الحسن، وجولات غنية بالأسرار والوقفات في فهم التقديم في القرآن الكريم، والكشف عن أسراره المختلفة.

---

(1) تحدث المطعني عن منهج ابن الأثير، وأطال الحديث عنه، انظر: خصائص التعبير القرآني: ٢/١٣٣-١٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن مما يشار إليه في منهج المفسرين الذين اعتنوا بتفسير القرآن الكريم وتوضيح معانية والكشف عن أسراره، وبيان أحكامه، وتفصيل مجمله، مما يشار إليه في موضوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم أنهم استوعبوا المناهج السابقة، فلم يتقيدوا بما قيّد به البلاغيون أنفسهم في التقسيم والتفريع، ولا بحرص ابن الصائغ على الذود عن فكريته وطريقته، ولا بمنهج ابن الأثير الذي جمع بين منهج البلاغيين وطريقة ابن الصائغ، فجمعوا بين محاسنهم، وعرضوا لذلك بما يمليه عليهم النص القرآني الكريم.

وإن من يتتبع منهجهم في التقديم يلحظ أن بعضهم يرجع سر التقديم في بعض المواضع إلى رعاية الفواصل، كما هو ملاحظ في منهج البلاغيين، أو إلى قول ابن الأثير "حسن النظام السجعي".

ومؤلفات المفسرين كثيرة جداً، ولعلي أعرض بإيجاز أبرز المصنفات التي اعتنت بهذا الموضوع، علماً أن ملاحظاتهم إنما هي بحسب بما يمليه عليهم النص القرآني الكريم ، وهذا البحث يعتمد اعتماداً كلياً على توجيهاتهم للآيات التي سأتحدث عنها بإذن الله تعالى، فأبرز تلك المصنفات:

١- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة: ٤٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني، المشهور بالفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

٣- البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة: ٧٤٥.

٤- تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة: ٩٥١هـ.

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود لألوسي المتوفى سنة ١٢٧هـ.

٦-التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ

ومما يضاف لمنهج المفسرين، منهج علماء المتشابه اللفظي، الذي صنفوا مؤلفات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، والمراد بالمتشابه اللفظي الآيات التي تكررت في مواضع من القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، وبينها اختلاف في التقديم والتأخير، أو الذكر والحذف، أو التعريف والتنكير، أو الإفراد والجمع، أو الإيجاز والإطناب، أو إبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يدركه إلا من آتـــاه الله علماً وفهماً لأسرار كتابه، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه(١).

وحين نتأمل مصنفات علماء المتشابه نرى جوانب مختلفة، ففي مسائلهم التي طرقوها حديث عن تقديم المسند، وكذلك عن تقديم فقرات الجملة بعضها على بعض، كتقديم المعطوفات، ونحو ذلك، كما تحدثوا عن تقديم المتعلقات في الجملة بعضها على بعض، فما دونوه في مصنفاتهم مقتصر على ما جاء في الآيات المتشابهة، ومن هنا كان حديثهم مرتبطاً بما يمليه عليهم النص القرآني.

وحين نستعرض المسائل التي بحثوها في موضوع التقديم والتأخير، وما بينوه من أقوال وتوجيهات، نجده بحثاً رائعاً، تجلى فيه إبداعهم، فكان لهم تأملات لا يصنعها إلا عالم حاذق وصاحب نظر دقيق، ولذلك تميز حديثهم، لما نرى من إبداع في عرض المسائل، واستخراج دقيق لأسرار الاختلاف بين الآيات المتشابهة التي توضح منهج القرآن الكريم في التقديم والتأخير في ضوء الآيات المتشابهة، وستكون لنا وقفات مع ما ملاحظاتهم وتوجيهاتهم لأسرار الاختلاف في التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة.

وأبرز المصنفات في ذلك:

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- درة التنزيل وغرة التأويل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالخطيب الإسكافي، المتوفى سنة (٤٢٠هـ)،

٢- البرهان في متشابه القرآن: لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

٣- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ.

٤- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحموي الشافعي، المعروف بابن جماعة، والمتوفى سنة ٧٣٣هـ.

٥- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، الموفى سنة ٩٢٦هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

ماهية المتضاد اللفظي

تحدثت في مدخل هذا البحث أن الهدف حصر ودراسة مواضع التقديم والتأخير في المتضادات اللفظية في الآيات القرآنية، وهي الآيات التي تكررت فيها الألفاظ المتضادة في كتاب الله تعالى في مواضع متعددة، كالضر والنفع، والإنس والجن، وغيرها من المواضع، وبيان أسرار ذلك التقديم والتأخير لتلك الألفاظ، وكما يقول الشاعر:

ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد

تعريف المتضاد:

يعد المتضاد نوع من المشترك، ويقال له: الأضداد، والتضاد، المتضاد في اللغة: أصل المادة: ضَدَدَ: وضد الشيء ، وهو مصدر خلافه، والجمع أضداد، وقد ضادَّه فهما متضادان، والتضاد مصدر(١).

وقد اختلف العلماء في تعريفه الاصطلاحي ، فمنهم من قال: هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين ،مثل لفظ:" الجون": يطلق على الأسود، والأبيض، ولفظ "الجلل": الشيء الصغير، والجلل العظيم، ولفظ "الصارخ" هو المستغيث والمستغاث به(٢).

---

(1) انظر لسان العرب مادة ضدد ٣/٢٦٣-٢٦٤

(2) انظر: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، للدكتور محمد صالح الشنطي: ٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك تعريف آخر وهو: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد .وقال ابن فارس: "ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد" (١). وقيل: هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده(٢).

وبناء على ذلك فإن التضاد يكون في اللفظ ويكون في المعنى، والتضاد الذي هو محل بحثنا في هذه الدراسة ما ورد في كتاب الله تعالى في الآية الواحدة بلفظين متضادين، وجاء ذلك التضاد في آية أخرى إما بتقديم وإما بتأخير، كالنفع والضر ، والمغفرة والعذاب، والجن والإنس وغير ذلك مما هو متكرر في أكثر من موضع.

الفرق بين التضاد والمشترك:

التعريف السابق يدعونا لمعرفة الفرق بين المشترك والمتضاد، ويمكن معرفة ذلك من خلال أمرين:

١- أن المشترك أعم من المتضاد؛ فالمتضاد نوع منه، فكل متضاد مشترك، ولا عكس .

٢- أن المشترك يدل على عدة معان، ولا يلزم أن تكون متضادة . أما المتضاد فيدل على معنيين، ولا بد أن يكونا متضادين .

فمثلاً: كلمة (العين) تدل على معانٍ عديدة، ولا يلزم منها التضاد؛ فهي- بهذا الاعتبار- مشترك، لا متضاد .وكلمة الغابر: تطلق على

---

(1) الصاحبي: ٦٠.

(2) انظر: فقه اللغة للدكتور. علي وافي :١٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الماضي وتطلق على الباقي؛ فهي بهذا الاعتبار متضاد؛ لأنها دلت على معنيين متضادين .

ولنا أن نسأل كيف يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً؟

يفهم ذلك من خلال السياق، مثال ذلك كلمة (جلل) فهي تدل على الشيء اليسير الصغير الحقير، وتدل على الشيء العظيم

فمن الأول: قول لبيد -رضي الله عنه :-

كل شيء ما خلا الله جلل ... والفتى يسعى ويلهيه الأمل

ومن الثاني قول الشاعر:

قومي هُمُ قتلوا أميمَ أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللاً ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فمن خلال سياق الكلام في البيت الأول نعلم أن المقصود بـ:(الجلل): الأمر اليسير الحقير، ومن خلال السياق في البيتين الأخيرين نعلم أن المقصود بقوله: (جللاً) أنه الأمر العظيم؛ لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير يسير وهكذا..(1).

وهذا ما أجاب به ابن الأنباري عن اعتراض من اعترض على وجود الأضداد؛ حيث قال -رحمه الله: (ويظن أهل البدع والزيغ، والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم؛ لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم؛ فيسألون عن ذلك،

(1) انظر الأضداد لابن الأنباري :١-٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويحتجون بأن الاسم منبئٌ عن المعنى الذي تحته، ودالٌ عليه، وموضحٌ تأويلَه، فإذا اعتورَ اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى .فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة :

أَحَدُهن: أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال المتكلم والإخبار إلا معنىً واحدٌ)(١).

ثم ضرب مثالاً لذلك، وهو من الأبيات الآنفة الذكر .وضرب أمثلة أخرى من القرآن الكريم فقال: (وقال الله – عز وجل – وهو أصدق قيل: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ﴾(٢) أراد الذين يتيقنون ذلك؛ فلم يذهب وهمُ عاقلٍ إلى أن الله – عز وجل – يمدح قوماً بالشك في لقائه)(٣).

خلاف العلماء في وقوع الأضداد:

اختلف العلماء في وقوع الأضداد :

(1) الأضداد :٣.

(2) سورة البقرة ، آية: ٢٤٩.

(3) الأضداد :٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعدَّ وضعها في مألوف القوانين اللغوية، والمواضعات الاصطلاحية؛ وذلك لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية .

وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير. ومن هؤلاء: الأصمعي، وأبو عبيدة، وابن السِّكِّيت، وقطرب، وابن فارس، وابن الأنباري وغيرهم.

٢- ومنهم من أنكر الأضداد، وتأول ما ورد منها في اللغة، ونصوص العربية .

وأشهر هؤلاء: ابن دَرَسْتَوَيْه فإن له مصنفاً في إبطال الأضدد. قال السيوطي: (قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قَدْ ناء :إذا طلع. وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط - أيضاً - وأنه من الأضداد .

وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد. انتهى .فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى إنكار الأضداد، وأن له في ذلك تأليفاً)(١).

٣- ومنهم من قال بوجود الأضداد إلا أنهم عدوها منقصة للعرب، ومثلبة من مثالبهم، واتخذوها دليلاً على نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم، وزعموا أن ورودها في كلامهم كان سبباً في كثرة الالتباس عند

(1) المزهر للسيوطي: ٣٩٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المخاطبات. وهؤلاء هم الشعوبية، أو من يسميهم ابن الأنباري "أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب". وقد سبق رده عليهم .

وممن رد على هؤلاء ابن فارس حيث قال: "وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده. وهذا ليس بشيء؛ وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً، والفرس طِرْفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد .

وقد جرَّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا ردَّ ذلك، ونقضه؛ فلذلك لم نكرره"(1).

٤- ومنهم من قال بوقوعه، وأنكر على من تعسف في إنكاره، غير أنه يرى أن وروده لم يكن بتلك الكثرة التي ذهب إليها من يراه بإطلاق؛ ذلك أن كثيراً من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب. ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاؤل كالمفازة في المكان الذي تغلب فيه الهلكة؛ فقد سميت بذلك تفاؤلاً، وكالسليم للملدوغ، وكالريان والناهل للعطشان. وفي بعضها قد استعمل اللفظ في ضده لمجرد التهكم، أو لاتقاء التلفظ بما يُكره التلفظ به، أو بما يمجه الذوق، أو بما يؤلم المخاطب. وذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق،

(1) الصاحبي لابن فارس: ٦٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخفيف على الثقيل، وهكذا...وقد مال إلى هذا الرأي بعض المحدثين(١).

التأليف في المتضاد:

حاول العلماء حصر كلمات الأضداد، وجمعها من كلام العرب في شعرهم ونثرهم، وفيما ورد منها في القرآن، والحديث، ثم أفردوها بالتأليف والتصنيف، وأصبحت مصدراً أصيلاً من مصادر المعجمات .

وممن ألف في الأضداد - كما ذكر السيوطيُّ - قطربٌ، والتوزيُّ، وأبو البركات ابن الأنباري، وابن الدهان، والصغاني(٢). هذا عدا الفصول التي وردت في كتاب الجمهرة لابن دريد، والغريب المصنف لأبي عبيد، والصاحبي لابن فارس، والمخصص لابن سيدة، وفقه اللغة للثعالبي، وديوان الأدب للفارابي، والمزهر للسيوطي(٣). ولكن أعظم هذه الكتب ، وأوسعها، وأحفلها بالشواهد، وأشملها للعلل هو كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المعروف بابن الأنباري المتوفى سنة٣٢٧هـ(٤). حتى قيل :إن كتاب أبي بكر بن الأنباري لم يؤلف مثله في الأضداد

(1) انظر: فقه اللغة للدكتور: علي عبد الواحد وافي :١٤٩-١٥٠.

(2) انظر: المزهر: ٣٩٧/١.

(3)انظر: مقدمة محقق الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ب - ج).

(4) أبو بكر بن الأنباري غير أبي البركات بن الأنباري، وكلاهما ألف في الأضداد إلا أن الأخير لا نعرف عنه شيئاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد اشتمل الكتاب على ثلاث مئة وسبعة وخمسين لفظاً من الأضداد، فأتى على جميع ما ألف قبله، وأربى عليه، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب، وشواهد القرآن والحديث والشعر في كثرة بالغة، وإسهاب كثير، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة، واطراد التنسيق، وقد أعانه على ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته، ووضوح الفكرة في عقله مع دقة التعليل، وقوة الحجاج. وقدم لكتابه ببحث ضاف شامل انتصر فيه للعرب فيما أورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد، وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا، وعلل ذلك تعليلاً دقيقاً أميناً؛ فجاء كتابه أشمل كتاب، وأوفاه في هذا الموضوع(١).

أمثلة وشواهد من المتضاد:

وهذه الأمثلة والشواهد للأضداد مختارة باختصار ومن دون تفصيل من كتاب الأضداد لابن الأنباري-رحمه الله -.

١- القرء: حرف من الأضداد، يقال: القرء للطهر وهو مذهب أهل الحجاز، والقرء للحيض، وهو مذهب أهل العراق

٢- عسعس: يقال :عسعس الليل إذا أدبر، وعسعس إذا أقبل .

٣- المولى: المُنْعِم المُعْتِق، والمولى: المُنْعَم عليه المُعْتَق .

٤- اشتريت :بمعنى قبضته وأعطيت ثمنه، وبمعنى بعته .

٥- بعت: على المعنى المعروف عند الناس، وبعت الشيء إذا ابتعته أي اشتريته

(1)انظر: مقدمة الأضداد (ب-ج).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- السارب: المتواري والظاهر .

٧- عَنوة :إذا أخذ الشيء غصباً وغلبة، ويطلق على ما إذا أخذه بمحبة ورضاً .

٨- الصريخ والصارخ: للمغيث، وللمستغيث .

٩- الدائم: يقال للساكن دائم، وللمتحرك دائم .

١٠- الصريم: يقال لليل: صريم، وللنهار: صريم؛ لأن كل واحد منهما يصرم صاحبه .

١١- طرب: إذا فرح، وطرب إذا حزن

١٢- السليم: يقال: سليم للسالم، وسليم للملدوغ .

١٣- خائف: يقال: رجل خائف إذا كان يخاف غيره، وسبيل خائف إذا كان مخوفاً.

١٤- الحميم: للحار، والحميم للبارد.

١٥- الغريم: الذي له الدَّيْن، والغريم: الذي عليه الدَّيْن.

١٦- التلعة: يقال لما ارتفع من الوادي وغيره: تلعة، ويقال لما تسفَّل وجرى الماء فيه؛ لانخفاضه: تلعة.

١٧- بلهاء :يقال: امرأة بلهاء: إذا كانت ناقصة العقل، فاسدة الاختيار.

١٨- وامرأة بلهاء: إذا كانت كاملة العقل عفيفة صالحة لا تعرف الشر، ولا تعلم الرِّيب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٩- نسيت: يكون بمعنى غفلت عن الشيء، ويكون بمعنى: تركت متعمداً من غير غفلة لحقتني فيه، فيكون بمعنى الغفلة فلا يُحتاج فيه إلى شاهد. وكونه بمعنى الترك شاهده قول الله عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُ﴾(١) معناه: ترك إثابتهم ورحمتهم؛ لأنه قد جل وعلا عن الغفلة.

(1) سورة التوبة، آية :٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

مسائل التقديم والتأخير
في المتضاد في القرآن الكريم

سبق أن أوضحت في المبحث الأول والثاني القضايا المهمة في موضوع التقديم والتأخير، وكذلك موضوع المتضاد عن علماء اللغة، وفي هذا المبحث أستعرض بعض المواضع التي كثر ورودها في القرآن الكريم في موضوع التقديم والتأخير في الألفاظ المتضادة، وما يدرك كله لا يترك جله، سائلاً المولى لتوفيق والسداد.

وقبل أن أشرع في بيان المسائل أذكر توجيه الإمام السهيلي في موضوع التقديم التأخير، حيث وضع قاعدة سار عليها في بيان التقديم والتأخير في القرآن الكريم، يقول : (ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان ، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء : إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة ، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال.

فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة ، أو بأكثرها ، سبق اللفظ الدال على ذلك المعني السابق ، وكان ترتب الألفاظ بحسب ذلك)([1]).

(1) نتائج الفكر : ٢٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسنقف عند ست مسائل تعد الأبرز والأهم في موضوع التقديم والتأخير في الألفاظ المتضادة في كتاب الله تعالى.

أولاً: التقديم والتأخير بين النفع والضر

من المواضع التي تكررت في كتاب الله تعالى في موضوع التقديم والتأخير، ما جاء بين لفظ (النفع)، ولفظ (الضر)، كقوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾(١)، حيث تقدم النفع على الضر في هذه الآية، بينما جاء في موضع آخر تقديم الضر على النفع يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾(٢).

أوضح الخطيب الإسكافي أن الآية الأولى جاءت بعد قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾، وبعد قوله: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾:١٨٧، ثم جاءت هذه الآية، وهي بيان أنه عليه السلام لا يملك تعجيل ثواب ولا عقاب، فلما تقدم الآية سؤالهم عن الساعة ظناً منهم أن عنده علم، والعلم بالشيء بلا شك نفع لصاحبه، تقدم النفع على الضر في الآية، أما آية يونس فقد تقدمها طلبهم تعجيل العذاب، فقبلها قوله : ﴿وإما نرينّك بعض الذي نعدهم﴾:٤٦،

(1) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.

(2) سورة يونس، آية: ٤٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:﴿ويقولون متى هذا الوعد..﴾:٤٨، فتقدم الضر لأجل ما تقدم من طلبهم إياد[١].

وقد وافقه على هذا التوجيه ابن الزبير الغرناطي[٢]، وابن جماعة[٣]، أما ابن عاشور فقد ذكر توجيه آية سورة يونس[٤].

أما الإمام الكرماني فيرى أن تقديم الضر على النفع هو الأصل، لأن العابد يعبد ربه خوفاً من عقابه ثم طمعاً في ثوابه، فآية يونس جاءت على الأصل، أما آية الأعراف فقد تقدم فيها النفع على الضر بسبب تقدم قوله تعالى:﴿من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾: ١٧٨، وقوله تعالى: ﴿لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾:١٨٨[٥]. وقد وافقه أبو يحيى الأنصاري[٦].

والذي أرى والله تعالى أعلم أن التوجيه الأول مقدّم على توجيه الكرماني، لأن سياق الآيات يتطلب ذلك التوجيه، وسبب آخر هو أن الأصل الذي ذكره الكرماني غير مسلّم به لا من الناحية العقدية،ولا من الناحية الفطرية، فالأصل في عقيدة أهل السنة والجماعة الجمع في

(١)درة التنزيل: ١٠١ (بتصرف).
(٢)انظر: ملاك التأويل: ٥٧٧/١-٥٧٨.
(٣)انظر: كشف المعاني: ١٨٨.
(٤)انظر: التحرير والتنوير: ١٨٩/١١.
(٥)انظر: البرهان: ٢٠١-٢٠٢.
(٦)انظر: فتح الرحمن: ١٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العبادة بين أصلي الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحي طائر، وإن غلبة أحدهما على الآخر ذريعة للدخول في مذهب الخوارج، أو المرجئة، وكلا المذهبين باطل، وهذا لا يتعارض مـــع ما قال به بعض العلماء بتغليب جانب الخوف في حال الصحة، فلا يعني إطلاقاً تقديم الخوف على الرجاء، بل هو مخالف لسنة الأنبياء عليهم السلام الذين حكى الله طريقتهم فقال: ﴿إنهم يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾الأنبياء: ٩٠، فقدم الرغبة على الرهبة(١)، أما من ناحية الفطرة فإن النفس البشرية تتطلع إلى الخير والنفع، وتتعلق بالآمال والأماني، وتغفل عما يعرض لها من مصائب الدهر، ولهذا ذكر ابن عاشور رحمه الله أن السر في تقديم النفع في آية الأعراف (لأن النفع أحب إلى الإنسان)(٢).

ومثل الموضع السابق قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾(٣)، بينما تقدم النفع على الضر في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾(٤).

---

(١)انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠/٦١-٦٤، ٨١-٨٣، ٢٤٠-٢٤٢،ومدارج السالكين لابن القيم:٢/٣٦-٥٧.

(٢)التحرير والتنوير: ٩/٢٠٧.

(٣) سورة يونس، آية: ١٨.

(٤)سورة الفرقان، آية: ٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الخطيب الإسكافي: (إنما قدّم يضرهم على ينفعهم في الآية الأولى، لأن العبادة تُقام للمعبود خوفاً من العقاب أولاً، ثم رجاء للثواب ثانياً، وقـد تقدم في هذا المكان ما أوجب تقديم يضرهم على ينفعهم في الآية الأولى وهو قوله: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾: ١٥، فكأنه قال: ويعبدون من دون الله ما لا يخافون ضرراً في معصيته ولا يرجون نفعاً في عبادته...وأما في سورة الفرقان فقد تقدمت قبلها آيات قدّم فيها الأفضل على الأدون كقوله عز وجل: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾:٥٣، وقوله بعده: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾:٥٤، وصلة النسب أفضل من صلة المصاهرة، كما أن العذب من الماء أفضل من الملح، وقال بعده ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم﴾، أي: يتكلفون المشقة بعبادة ما لا يرجونه لنفع ولا يخشونه لضر، فقدّم الأفضل على الأدون لهذا المعنى وللبناء على ما تقدم من الآيات)[1]. وقد وافقه كل من الكرماني، وابن الزبير، ابن جماعة رحمهم الله[2].

وهذا التحليل الجيد من الخطيب الإسكافي يجعلنا ندرك مكونات الكلام، وإدراك مواقع اللفظ القرآني، وأن سياق النص يقوم على ذكر الأفضل وتقديمه، فانظر إلى ملاحظته للفظي (عذب فرات، وملح أجاج)،

(١)درة التنزيل: ١١٣.

(٢)انظر: البرهان: ١٧٦، ملاك التأويل: ٤٦٨/١-٤٦٩، وكشف المعاني: ١٦٤-١٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(نسباً وصهراً)، وقياس ذلك على ما ورد في السورة نفسها ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾، إنه منهج تحليلي قائم على النظر في بناء الكلام، وتلاؤم الألفاظ.

ثانياً: التقديم والتأخير بين السماء والأرض:

جاء لفظ (السماء) مقدماً على لفظ (الأرض) في القرآن الكريم غالباً، وإذا تأملنا ما ورد من الآيات، نجد أن لفظ الأرض جاء مقدماً على لفظ السماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(١)، وفي سورة سبأ جاء تقديم السماء على الأرض على المعتاد في أسلوب القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، وجاء بعد هذه الآية: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(٢).

تحدث الخطيب الإسكافي عن تقديم السموات في آية سبأ الأولى، وبنى ذلك على التقديم الوارد في أول السورة وهو قوله: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض..﴾:١، وعلى هذا جاءت الآية التي بعدها بتقديم السموات على الأرض أما آية يونس فقد جاءت عقب قوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل﴾:٦١،

(١) سورة يونس، آية: ٦١.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣، ٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالمقصود من الآية ذكر علمه سبحانه وتصريفه لعباده من خير أو شر، وذلك كائن في الأرض فجاء تقديم الأرض على السماء.

يقول: (إنما قدم ذكر السموات على الأرض في سورة سبأ، لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة﴾ فقدم ذكر السموات، لأن ملكها أعظم شأناً وأكبر سلطاناً..وأما التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتمه بقوله: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض﴾، واستوعب جميع ما في الأرض ثم أتبعه ذكر السماء، لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها) (١)

وتعليل الإسكافي لآية سبأ وأن الآية مبنية على مفتتح السورة وراءه أصل بلاغي، وهو أن سياق الكلام في السورة يتلاحم ويترابط ويبني بعضه بعضاً، حتى يتآخى الكلام ويشبه بعضه بعضاً، ليس في المعنى فحسب، وإنما في المبنى أيضاً.

وقد وافقه الكرماني في توجيه الآيتين واختصر، واكتفى بالقول عن آية يونس أن سبب تقديم الأرض على السماء لأن المخاطبين فيها،

(١)درة التنزيل: ٢١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتقديم السموات في سبأ لتقدمها في أول السورة[1]. أما ابن جماعة فوافق الخطيب الإسكافي في توجيه آية يونس، أما آية سبأ فذكر أنه تقدم الآية إنكار الكفار للقيامة، وما فيها من أمور غيبية فناسب ذلك تقديم السماء[2].

وقد أشار الكرماني إلى أن لفظ الأرض لم يتقدم على السماء في القرآن إلا في خمسة مواضع، وأقول: إن هذا من استقصائه رحمه الله، وكأنه يطالع معجماً لألفاظ القرآن الكريم، هذا وقد جاء تقديم الأرض على لفظ السماء في أربعة مواضع هي: الأول ما جاء في يونس، والثاني في آل عمران ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾:٥، والثالث في إبراهيم ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾:٣٨، والرابع في العنكبوت ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾:٢٢، والموضع الخامس جاء التقديم فيه على لفظ (السموات) بالجمع، وهو في سورة طه ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾:٤.

أما ابن الزبير الغرناطي فذكر وجهاً آخر وهو: أنه ناسب تقديم الأرض على السماء، لأن السماء مصدر الأمر، ومحل العلو ومسكن

(١)انظر: البرهان: ٢١٨، ٣٠٨.

(٢)انظر: كشف المعاني: ٢٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملائكة، وهي مشاهدة لهم، فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر، وكان العلم بما في الأرض أخفى[1].

وهذا التوجيه فيه نظر فعلم المخلوقين بالأرض يكون أجلى وأظهر لقربهم منها ومعرفتهم بأحوالها وأسرارها، بخلاف علمهم بما في السماء.

أما الإمام السهيلي (ت ٥٨١) رحمه الله فله كلام جيد في هذا الموضع يقول: (وأما تقديم (السماء) على (الأرض) فبالرتبة أيضاً وبالفضل والشرف، وأما تقديم الأرض من قوله: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾ فبالرتبة، لأنها منتظمة بذكر ما هي أقرب إليه، وهو المخاطبون بقوله: ﴿وما تعملون من عمل﴾، فاقتضى حسن النظم تقديمها مترتبة في الذكر مع المخاطبين الذين هم أهلها، بخلاف الآية التي في سبأ، فإنها منتظمة بقوله: ﴿عالم الغيب﴾)[2].

ومراد السهيلي بالرتبة في تقديم السماء على الأرض، يرجع إلى أن السماء أشرف من الأرض لأنها محل الأمر والعلو والرفعة، أما الرتبة في تقديم الأرض على السماء في آية يونس فالمراد بها رتبة أسلوب، لأنه تقدم ما يقتضي ذكر الأرض، وهو ﴿وما تعملون من عمل﴾، فتقدم ذكرها.

(١) انظر: ملاك التأويل: ٦٢٧/١-٦٢٨.
(٢) نتائج الفكر: ٢٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أشار ابن الزملكاني إلى توجيه السهيلي ونقل جزءا منه[1]، كما كما وافق ابن القيم السهيلي ، ونقل كلامه كاملاً، وعلق عليه فقال عن تقديم السماوات في سورة سبأ: (لأن الساعة إنما تأتي من قبلها وهي غيب فيها ، ومن جهتها تبتدئ ، وتنشأ ، ولهذا قدم صعق أهل السموات على أهل الأرض عندها فقال تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ﴾[2] ، وفي آية سورة يونس يقول : (لما كان السياق تحذير وتهديد للبشر وإعلامهم أنه سبحانه عالم بأعمالهم دقيقها وجليلها، وأنه لا يغيب عنه منها شيء اقتضى ذلك ذكر محلهم وهو الأرض قبل ذكر السماء)[3].

أما الزمخشري فله توجيه قريب من توجيه الإسكافي والسهيلي لآية يونس،حيث قال: (لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله: ﴿لا يعزب﴾، لاءم ذلك أنه قدم الأرض على السماء)[4].

---

(١) انظر: التبيان في علم البيان: ١٥٠.

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٨.

(٣) بدائع الفوائد : ١ / ٧٤ ، وابن القيم وحسه البلاغي : ١٠٩ – ١١٠ .

(٤) الكشاف: ٢٤٣/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد وافقه الفخر الرازي، ونقل كلامه، وتابعه أبو حيان، والقونوي
الألوسي، والطاهر بن عاشور، وزين الدين الرازي صاحب كتاب
الأنموذج[1].

وذكر ابن الزبير الغرناطي وجهاً آخر يختلف عن سابقيه، وهو
أنه ناسب تقديم الأرض على السماء، لأن السماء مصدر الأمر ومعدن
العلو ومسكن الملائكة، وهي مشاهدة لهم، فكان العلم بما فيها أيضاً
وأظهر، وكان العلم بما في الأرض أخفى[2]. وهذا توجيه بعيد، فعلم
الخلق بالأرض يكون أجلى وأظهر لقربهم منها ومعرفتهم بأحوالها
وأسراها، بخلاف السماء، وما ذهب إليه السهيلي والزمخشري وابن القيم
أولى وأحسن.

ومن اللطائف في هذه المسألة ما ذكره أبو القاسم السهيلي عن
السر في إفراد الأرض، وجمع وإفراد السماء في القرآن الكريم بوجه
عام. وقد كان حديثه عن الفرق بين السماء والأرض من جهة اللفظ
وهو فرق لغوي نحوي يدور حول أن الأرض على وزن المصادر الثلاثية
وأن السماء من أبنية الأسماء

(١) انظر: التفسير الكبير: ٩٩/١٧، البحر المحيط: ١٧٤/٥، روح المعاني:
١٣٧/٦، التحرير والتنوير: ٢١٤/١١ وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن
غرائب التنزيل لمحمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي: ١٩.

(٢) انظر: ملاك التأويل: ١ / ٦٢٦ - ٦٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما من جهة المعنى فيذكر أن الكلام متى اعتمد به على السماء المحسوسة التي هي السقف، وقصد به إلى ذاتها دون معنى الوصف صح جمعها جمع السلامة؛ لأن العدد قليل، وجمع السلامة بالقليل أولى لقربه من التثنية، فإذا اعتمد الكلام على الوصف استزاد معنى العلا والرفعة. أما الأرض فلم تجئ في القرآن مقصوداً إلى ذاتها، ولا معبراً عنها بما هو بمعنى السفل والتحت، تنبيهاً من الله تعالى على ذمها، وإعراضاً عن ذكرها وترك الاعتناء بها إذ كانت دار الحياة الدنيا، بخلاف السماء المشرقة المقدسة المطهرة، التي هي مقر ملائكته، ومحمل أنوار جلاله وعظمته. فإذا اعتمد ذكر ذاتها مع مـــا فوقها جمع، وإذا اعتمد الوصف الشامل لسمواته وهو معنى العلو أفرد، وذلك حسب ما يتصل به من كلام(١).

ثالثاً: التقديم والتأخير بين الإنس والجن:

من الألفاظ التي يتوقف عندها قارئ القرآن الكريم، في موضـــوع التقديم والتأخير في المتضاد اللفظي، تقديم (الجن) على (الإنس)، و (الإنس) على (الجن) في القرآن الكريم، وقد كـــان لعلمـــاء التفـــسير وعلماء المتشابه اللفظي وقفات عند الآيات التي وردت فـــي كتـــاب الله تعالى.

(١) انظر: نتائج الفكر: ١٥٧-١٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأبو القاسم السهيلي تأمل ذلك وجعله أحد أسباب التقديم وهو : التقدم للفضل والشرف، فقال: (ومنه تقديم (الجن) على (الإنس) في أكثر المواضع ، لأن الجن يشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن على الأبصار ، قال سبحانه : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ (١). وقال الأعشى :

وسخر من جن الملائك سبعة ∴ قياماً لديه يعملون بلا أجر(٢)

وأما قوله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾(٤)، وقوله : ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾(٥). فإن لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة بحال ، لنزاهتهم عن العيوب ، وأنهم لا يتوهم عليهم الكذب ولا سائر الذنوب ، فلما لم يتناولهم عموم لفظ الجن ، لهذه القرينة ، بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكمالهم)(٦). وقد نقل ابن الزملكاني حديث السهيلي السابق كاملاً من دون الإشارة إليه(٧).

---

(١) انظر : سورة الصافات ، آية : ١٥٨ .
(٢) في لسان العرب (تسعة) بدل سبعة : ١٣ / ٩٣ .
(٣) سورة الرحمن ، آية : ٧٤ .
(٤) سورة الرحمن ، آية : ٣٩ .
(٥) سورة الجن ، آية : ٥ .
(٦) نتائج الفكر : ٢٧٠
(٧) انظر: التبيان : ١٤٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر يحي العلوي (ت ٧٤٩) كلام السهيلي نقلاً من ابن الزملكاني ، وجاء بوجه آخر لتقديم الجن على الإنس في بعض الآي وعده الأجود فقال : (والأجود أن يقال: إنما قدم الجن ههنا لما كان المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة في قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١)، فقدمهم لما كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس وقوله: ﴿ يا معشر الجن والإنس﴾(٢)، إنما قدمهم لما كان المقام مقام تسلط واجتراء ، والجن بذلك أحق فلهذا قدمهم)[٣].

أما ابن القيم فقد خالف السهيلي وناقشه في هذه المسالة ، فأوضح أولاً : الإنس أشرف من الجن لا كما قال السهيلي . ثم فند رأي السهيلي في أن الملائكة من الجن ، فذكر أن أصل الملائكة ومادتهم التي خلقوا منها هي النور كما ثبت ذلك مرفوعاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في صحيح مسلم ، وأما الجان فمادتهم النار بنص القرآن ، ولا يصح التفريق بين الجن والجان لغة ولا شرعاً ولا عقلاً(٤).

(١) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(٢) سورة الرحمن ، آية : ٣٣ .
(٣) الطراز: ٢ / ٦٢ .
(٤) انظر: بدائع الفوائد : ٦٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر يحي العلوي (ت ٧٤٩) كلام السهيلي نقلاً من ابن الزملكاني ، وجاء بوجه آخر لتقديم الجن على الإنس في بعض الآي وعده الأجود فقال : (والأجود أن يقال: إنما قدم الجن ههنا لما كان المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة في قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١)، فقدمهم لما كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس وقوله: ﴿ يا معشر الجن والإنس﴾(٢)، إنما قدمهم لما كان المقام مقام تسلط واجتراء ، والجن بذلك أحق فلهذا قدمهم)(٣).

أما ابن القيم فقد خالف السهيلي وناقشه في هذه المسالة ، فأوضح أولاً : الإنس أشرف من الجن لا كما قال السهيلي . ثم فند رأي السهيلي في أن الملائكة من الجن ، فذكر أن أصل الملائكة ومادتهم التي خلقوا منها هي النور كما ثبت ذلك مرفوعاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في صحيح مسلم ، وأما الجان فمادتهم النار بنص القرآن ، ولا يصح التفريق بين الجن والجان لغة ولا شرعاً ولا عقلاً(٤).

---

(١) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٣٣ .

(٣) الطراز: ٢ / ٦٢ .

(٤) انظر: بدائع الفوائد : ٦٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورد عليه – أيضاً – في كون الملائكة أشرف من الإنس، وذكر أن الجمهور يقولون بتفضيل البشر ، والذين فضلوا الملائكة هم المعتزلة والفلاسفة(١).

وبعد توضيح هذه المقدمة ، ذكر أن الصواب والذي ينبغي أن يقال في التقديم (إنه تقدم بالزمان، واستدل بقول الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾(٢).

أما تقديم (الإنس) على (الجن) في قوله: ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ فلحكمة أخرى سوى ما ذكره، وهو أن النفي تابع لما تعقله القلوب من الإثبات فيرد النفي عليه ، وعلم النفوس بطمث الإنس ونفرتها من طمثها الرجال هو المعروف ، فجاء النفي على مقتضى ذلك وكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم)(٣).

أما آية سورة الجن في قوله : ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾(٤)، فذكر أن تقديم الإنس ، لتقدمهم في الخطاب بالقرآن ، وتقديمهم في التصديق والتكذيب(٥).

---

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) سورة الحجر، آية: ٢٦ – ٢٧ .
(٣) بدائع الفوائد : ٦٧/١ ، وابن القيم وحسه البلاغي : ١٠٥ .
(٤) سورة الجن ، آية : ٥ .
(٥) انظر: بدائع الفوائد: ١ / ٦٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين نتأمل تعليل السهيلي والعلوي ونقارنه بتوجيه ابن القيم نجد أن الأقرب لمعني الآيات ما ذكره ابن القيم ، والله تعالى أعلم بما أراد.

رابعاً: التقديم والتأخير بين الإخفاء والإبداء:

جاء التقديم والتأخير بين هذين اللفظين في آيتين في كتاب الله تعالى، وهما قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾: ٢٨٤، حيث تقدم لفظ الإبداء ، بينما ورد في سورة آل عمران تقديم الإخفاء، فقال سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ٢٩.

والحاصل في الآيتين الكريمتين تعريف العباد بإحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن على حد سواء، كما قال تعالى في الرعد: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾: ١٠، أما عن سر التقديم والتأخير بين اللفظين في الآيتين فقد انفرد بتوجيه ابن الزبير لقوله تعال ففي آية سورة البقرة ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾:٢٨٤، جاء تقديم الظاهر على الباطن، وفي آية آل عمران جاءت الآية على عكس ذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾:٢٩.

فأوضح أن من صفة المنافقين إبداء الشيء وإخفاء خلافه، وقد عرفوا بذلك عن غيرهم، يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿يخفون في أنفسهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما لا يبدون لك﴾ آل عمران:١٥٤، كما أخبر سبحانه أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿يبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾النساء: ١٣٨، بعد ذلك قال: (وقد تقدم آية آل عمران قوله تعالى ناهياً وزاجراً: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾:٢٨...فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتياز المنافقين، كان آكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون..فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران.

أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها، وفي آية الدين قبلها،وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام، فورد فيها قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ مقدّماً فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم من صفة المنافقين(١).

ومما يلحق بهذا الموضع ما ذكره بعض المفسرين عن سر تقديم ﴿يسرون﴾ على يعلنون في القرآن الكريم، والتي جاءت في أربعة مواضع في كتاب الله تعالى، فلم يتقدم الإعلان على الإسرار، والآيات هي قوله في سورة البقرة: ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ٧٧، وفي هود ﴿ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

(١)ملاك التأويل: ١/٢٨٠-٢٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:٥، وفي النحل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: ٢٣، وفي يس: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:.٧٦.

وجاءت أسباب التقديم في ثلاثة توجيهات، الأول: إما لأن رتبة السر متقدمة على مرتبة العلن، إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالباً، فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية.

الثاني: يمكن أن يحمل التقديم على الإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر.

الثالث: إما للمبالغة في شمول علمه المحيط بجميع الأشياء فكان علمه بما يسرون أقدم منه بما يعلنونه، مع كونهما في الحقيقة على التسوية(١).

خامساً: التقديم والتأخير بين السراء والضراء:

ورد التقديم والتأخير بين اللفظين المتضادين السراء والضراء في كتاب الله تعالى في موضعين فقط، وهما قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

(١)انظر: تفسير أبي السعود: ١١٨/١، وروح المعاني للألوسي: ٣٠١/١، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١٨٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ :١٣٤، والموضع الآخر في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾:٩٥، فما سر التقديم والتأخير؟

وإذا تأملنا سياق الآيتين، وما تقدمها نلحظ سر التقديم والتأخير في الآيتين، فآية آل عمران، جاءت في وصف المتقين الذين يسارعون لمغفرة ربهم وجنات عرضها السماوات والأرض ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: ١٣٣، وهي صفات ثناء وتنويه، صفات تنزع وتقاوم الشح المطاع، والهوى المتبع.

فأول الصفات: صفة الإنفاق في السراء والضراء. والإنفاق وهو الصدقة وإعطاء المال في سبيل الله. والسراء فعلاء، اسم لمصدر سره سرا وسرورا. والضراء من ضره، أي في حالي الاتصاف بالفرح والحزن، وكأن الجمع بينهما هنا لأن السراء فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضراء فيها ملهاة وقلة موجدة. فملازمة الإنفاق في هذين الحالين تدل على أن محبة نفع الغير بالمال، الذي هو عزيز على النفس، فقد صار لهم خلقا لا يحجبهم عنه حاجب ولا ينشأ ذلك إلا عن نفس طاهرة(١).

إذا فالسراء النعمة ورخاء العيش، وهي ضد الضراء.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٩٧/٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فجاء التقديم في الآية لأن من يتصف بتلك الصفات ويسعى لمغفرة ربه، يقوم بالذل والعطاء والإنفاق في حال سعته وسروره، فلا تشغله الدنيا الفانية على الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم، فالمؤمن يتذكر ربه في حال صحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفي فرحه قبل حزنه، فلذلك جاء تقديم "السراء" على "الضراء في هذه الآية.

أما آية سورة الأعراف فجاءت في سياق عقب انتهاء قصص الأنبياء كنوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وبعد قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: ٩٤، فأخبر تعالى ما أصابهم من البأس والضر بسبب تعنتهم وعدم إيمانهم برسولهم، ثم جاء الإمهال وتبديل السيئة حسنة ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾، ومع ذلك أجابوا بما كان عليهم آباؤهم، فجاء تقديم "الضراء" على "السراء"، لأن المقام يتطلب ذلك، لما وقع فيه آباؤهم من الضلال، فهم على نهجهم سائرون، فجاء التقديم على ما يجب، والله تعالى أعلم.

ومما يحسن ذكره، ويلحق بموضوع التقديم والتأخير بين السراء والضراء، ما جاء في كتاب الله تعالى من تقديم لفظ "البأساء"، على لفظ "الضراء"، فبين اللفظين تلازم، وقد ورد ذلك في أربعة مواضع، في البقرة قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: ١٧٧، وقوله:﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾: ٢١٤، والأنعام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: ٤٢، والأعراف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: ٩٤، ولم يرد في كتاب الله تعالى أن تقدم لفظ "الضراء"، على البأساء"، وهذا من قبيل الترادف والتلازم في كتاب الله تعالى.

سادساً: التقديم والتأخير بين العذاب والمغفرة

الوارد في كتاب الله تعالى تقديم المغفرة على العذاب، وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع، هي قوله تعالى في البقرة،﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ٢٨٤، وفي آل عمران: ﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:١٢٩، وفي الفتح: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:١٤، بينما تقدم لفظ العذاب على المغفرة في موضع واحد في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ذكر علماء التفسير أن تقدم المغفرة على العذاب لتقدم رحمته على غضبه(١).

أما سر التقديم في آية المائدة فيرى الإمام الكرماني أن سببه أن الآية (نزلت في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب، وفي غيرها قـدّم لفظ المغفرة رحمة منه سبحانه، وترغيباً للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة)(٢).

وقد وافقه على هذا التوجيه ابن الزبير(٣)، وابن جماعة الذي يقول: (إن آية البقرة وغيرها جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة، وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته، وآية المائدة جاءت عقب ذكر السارق والسارقة، فناسب ذكر العذاب ، لأنه لهم في الدنيا والآخرة)(٤)، كما وافقهم الأنصاري(٥).

(١) انظر: روح المعاني: ٦٣/٢، تفسير أبي السعود: ٢٧٣/١.
(٢) البرهان: ١٤٢.
(٣) انظر: ملاك التأويل: ٢٨٣/١-٢٨٤، ٣٨٦-٣٨٧.
(٤) كشف المعاني: ١٢٣.
(٥) انظر: فتح الرحمن: ٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خـــاتمـــة:

إلى هنا ينتهي هذا البحث والذي تناولت فيه أسرار التقديم والتأخير في المتضاد اللفظي في القرآن الكريم، فأوضحت منهج العلماء في التقديم والتأخير، كما أوضحت معنى المتضاد في كلام العرب، سواء كان في المعنى أو اللفظ، ثم وقفت على مسائل التقديم والتأخير في المتضاد اللفظي في القرآن الكريم وبيان أسرارها البلاغية، وقد أفدت منه كثيراً، وتحصلت على جملة من النتائج أرى أنها مهمة في تناول هذا الموضوع الذي يخدم إعجاز كتاب الله تعالى ويوضح أسراره البلاغية والبيانية، ومن أبرز ذلك:

١-.إعجاز القرآن لا ينفد، وأسراره لا تنقضي، فتنوع الإعجاز، وتعدد الأسرار تقتضي أن البلاغة القرآنية هي المجال الأرحب للدراسات والبحوث البلاغية الراقية، فهي ذروة سنامه وعموده، وبحره الذي لا ينفد

٢- أبان البحث أن المنهج التطبيقي في البحث البلاغي الذي يعتمد التحليل والبحث عن الأسرار البلاغية الدقيقة أفضل المناهج، وأكثرها فائدة، وأقربها إلى نفس المتلقي، وهو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة، وعرف عند أئمة البلاغة وروادها، وقد كان هذا الموضوع مثالاً لذلك المنهج.

٣- أوضح البحث أهمية موضوع التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية، وجهود العلماء المتقدمين، لا سيما عند الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي فتح باب البحث في أسرار التقديم والتأخير، واستعرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البحث مناهج العلماء في بسط موضوع التقديم والتأخير، وتناول منهج البلاغيين، والمفسرين، ومنهج ابن الأثير.

٤- ظهر في البحث معنى التضاد عند علماء اللغة، والفرق بين المتضاد والمشترك، موضحاً بالشواهد والأمثلة، وأن هناك تضاداً في المعنى، فاللفظ الواحد يحمل معنيين متضادين، وهناك تضاد في اللفظ وهو محل بحثنا ودراستنا، وكتاب الله تعالى مليء بذلك، فالضد يظهر حسنه الضد، .

٥- جمع البحث الألفاظ المتضادة في كتاب الله تعالى من حيث التقديم والتأخير، والتي وردت في آيات متعددة، وكانت في ست مسائل، التقديم والتأخير بين الضر والنفع، والسماء والأرض، والجن والإنس، والعذاب والمغفرة، والسراء والضراء، والإسرار والإعلان.

وهناك نتائج فرعية كثيرة في ثنايا البحث، والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع:

- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن للدكتور: عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، للدكتور محمود شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ
- الأضداد لابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبوعات المكتبة العصرية – بيروت
- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: عبد الرحمن المطرودي، دار الكتب، الرياض، ط: ١، ١٤١٢هـ
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، ١٩٨٤م.
- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت
- البرهان في متشابه القرآن، للكرماني، تحقيق: د. أحمد عز الدين خلف، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الوفاء مصر.
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة
- البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني لفضل حسن عباس، الأردن، دار الفرقان، ١٩٨٩م الطبعة الثانية
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، بيروت.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة المعاني بغداد الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٠م
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم المطعني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.
- درة التنزيل وغرة التأويل:، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، عام:١٤١٦هـ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، ت: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق:محمود شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، عناية: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي، مكتبة المعارف، الرياض.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا الأنصاري تحقيق: محمد علي الصابوني، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ
- فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي الطبعة السادسة طبعة لجنة البيان العربي ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، للدكتور محمد صالح الشنطي، الطبعة الرابعة، دار الأندلس، حائل.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة، تحقيق الكتاب الدكتور: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، ط: ١، بيروت، دار صادر ١٤١٠هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، و د.بدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر.
- مدارج السالكين لابن القيم، طبعة دار الحديث، القاهرة.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي، مصر، ١٣٩٢هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.
- المطول لسعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٣٠هـ.
- مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ
- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- نتائج الفكر في النحو للسهيلي، للدكتور: محمد البنا، دار الرياض، ١٤٠٤هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الموضوعات

الموضـوع
مدخل
المبحث الأول: منهج العلماء في التقديم والتأخير
المبحث الثاني:. ماهية المتضاد اللفظي
المبحث الثالث: التقديم والتأخير في المتضاد في القرآن الكريم
أولاً: التقديم والتأخير بين النفع والضر
ثانياً: التقديم والتأخير بين السماء والأرض:
ثالثاً: التقديم والتأخير بين الإنس والجن:
رابعاً: التقديم والتأخير بين الإخفاء والإبداء:
خامساً: التقديم والتأخير بين السراء والضراء:
سادساً: التقديم والتأخير بين العذاب والمغفرة
الخاتمة
المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner